لعله خالٍ من العبادة الخالصة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان نمت
الليل لا ضيعن نفسي وان نمت النهار لا ضيعن الرعية فكيف لي بالنوم بين
هاتين وفي هذا المعنى عرض لي ابيات من الشعر وهي هذه

فان كنت في هذا الايام راغبا ... فوطن على ان تستحقك الوقائع
بنفس وقور عند كل كريهة ... وقلب صبور وهو في الصدر فاجع
لسانك مخزون وكفك ملجم ... وسرك مكتوم لدى الرب ذائع
وذكرك مغمور وبابك مغلق ... وثغرك بسام وبطنك جائع
وقلبك في روح وسوقك كاسد ... وفضلك مدفون وطبعك شائع
وفي كل يوم انتجارع غصة ... من الاهل والاخوان والقلب طائع
نهارك شغل الناس غير منة ... وليلك سهو غاب عنه المضاجع
فروحك هذا الليل خزه ذريعة ... ليوم عبوس عز فيه الفرائع

نعم والنفس معهم والقلب مار بعد عنهم وذلك نعم امر شق بعر وعيش
نكيد وفيه يقول شيخنا رحمه الله في وصيته بابني عاشر مع اهل زمانك ولا تفتح
بابهم فقال ما اشد هذا العيش مع الاحياء والافتقار الى الاموات وعن ابن مسعود
رضي الله عنه خالط الناس وزايلهم ودينك لا تكلمنه وهذه نكتة مقنعة ثم
اقول اذا ما جئت الفتن بعضها في بعض وتراجع الامور وبلي الناس على امر الدين
معروف بين يدي لا يدرون في موهن الافراية ولا عهود دينهم ولا يطلبون مقالا ولا يعرفون
معروفا ولا يعينهم امر دينهم البتة وترى الفتنة تعم العامة وتقع بين الخا
صة فالعالم العرف في العزلة والتفرد وفر من العلم واخاف ان ما ذكرناه هو هذا
الزمان النكب الصعب والله المستعان وعليه التكلان فهنا حكم العزلة والتفرد
عن الناس واجب فان الخلطة فيه عظيم وضرر كبير وبالله التوفيق فان قيل
النبي صلى الله عليه يقول عليكم بالجماعة فان يد الله مع الجماعة وان الشيطان
ذئب الانسان ياخذ الشاذة القاصية والناحية الفاصية وقال ان الشيطان
مع الفذ وهو من الاثنين ابعد فاعلم ان هذه وردت ووردت ايضا النصوص
بتلك وعليك بالخاصة وامر بالعزلة والتفرد في الزمان السوء ولا تناقض في قوله
صلى الله عليه ولابد من الجمع بين الخبرين بعون الله وتوفيقه فاقول قوله صلى الله
عليه وسلم عليكم بالجماعة يحتمل ثلاثة اوجه احدها يعني في الدين
والحكم اذ لا تجتمع هذه الامة على ضلالة يعني والاجماع والحكم بخلاف ما عليه
جمهور الامة والشذوذ عنهم باطل وضلال واما ان يعتزل عنهم لصلاح دينه
فليس هذا من ذلك في شيء والثاني عليكم بالجماعة بان لا تنقطعوا
عنهم في جمعهم وجماعتهم ونحوها فان فيها قوة الدين وجمال الاسلام
وغيظ الكفار والملحدين ولا تخلوا ذلك من بركات ونكل من الله عز وجل بلا مهنة

الى ام في الجماعات مع قدر بد منه وسلامة ما الله فجاور ثم في ذلك يوما في حال نفي
الفتنة خزى من عزلة ما لا شيء نال الله وهوان ما حكى من الثواب لا يقع بما يحضر من
الاثام والشبهات في الخروج الى الجمع ولقاء الناس فلنت انا وجملة الامر
فلا عتب على المعذور والله تعالى اولى بالعذر وهو عليم بذات الصدور ولا كلام في
في العزلة فيه هو الاول بان يشارك الناس في الجمعة والجماعات وضروب الخير
ويفارقهم فيما سوى ذلك فان احب الوجوه في الثاني بان ينقطع عن الناس بمرة
فسبيله الخروج الى موضع لا يتوجه عليه هو الغي وفرض ثم لان الوجه في الثالث مع
الناس في حي واسع لا يبقى جمعة ولا جماعة تعذر سلاه في ذلك من وزر او تبعة عليه فان
يحتاج الى خفي دقيق وعوارض عجيبة متى تحقق ذلك عنده وفيه خطر الغلط
فلا او فان سلم واحتاج له والله تعالى ولي الظاهر يتبرى فصله واما الرجل الثاني
من رجل يكون قدوة في العلم بحيث يحتاج الناس اليه في امر دينهم ليدلهم او ورد
على مبتدع او دعوة الى خير بفعل وقول او نحو ذلك فلا ينبغي لهذا الرجل الا
عتزال عن الناس بل ينصب نفسه بينهم نائبا لحق الله تعالى والا عرض بين
الله فينا الا مكان الله تعالى وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله فهذا اذا كان بينهم
فاذا خرج من بينهم فلا يجوز له اذا الاعتزال وقد حكى عن الاستاذ ابي بكر
ابن فورك رحمه الله انه قصد ان يتجرد لعبادة الله تعالى عن الخلق فبينما هو في
بعض الجبال اذ سمع صوتا ينادي يا ابا بكر اذ صرت من حجج الله تعالى على خلقه تركت
عباد الله فرجع وهذا السبب كان صحبته للخلق وذكر ما حدث به ابن احمد رحمه الله ان
الاستاذ ابا اسحاق رحمه الله قال لعباد جبل لبنان يا اكلة الحشيش تركتم امة محمد
صلى الله عليه وسلم في ايدي المبتدعة واشتغلتم ههنا باكل الحشيش قالوا انا لا نقوى
على صحبة الخلق وانما اعطاك الله قوة فلا يلزمنا ذلك كشفها بعد ذلك كتابه الجامع
الجلي والخفي وكان لهم رضي الله عنهم مع غزارة علمهم العمل الجم والحظ الوافي في
سلوك منهج الاخرة واعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه في باب الدين يحتاج
في صحبة الخلق الى امرين شديدين احدهما صبر طويل وحلم عظيم وحظ كبير
واستعانة بالله تعالى والامر الثاني ان يكون في هذا المعنى منبعزا عنهم وان كان
بالجسم معهم فان كلموه كلمهم وان زاروه عظمهم على قدرهم وشكرهم وان
سكتوا عنه واعرضوا استغنم ذلك منهم وان كانوا في حق وخير ساعدهم وان
صاروا الى لغو ونحو خالفهم وجانبهم بل رد عليهم وزجرهم ان رجا قبولهم
ثم تفرغ بجميع حقوقهم من الزيارات والعيادات وقضاء الحاجات التي ترجع اليه
ما يتكلفه ولا يطالبهم بالمكافآت ولا ير جزاء ذلك منهم ولا يريهم من نفسه استعلاء
لذلك ويحاسب في البذل ان قدر ويعفو عنهم في الاوقات اعطاء ويحمل لهم
الاذى ويخفض لهم الجناح ويتحمل جفاهم لهم ويكتم حاجته عنهم ويغار سرها
بنفسه ويعالجها في سره وباطنه ثم يحتاج مع كل ذلك ان يبقى لنفسه حظا

لها